كتاب الباشات والقضاة

من جملة الكتب التي استنسخت هذه المرة من داري كتب برلين وميونيخ كتاب الباشات والقضاة بدمشق لمحمد بن جمعة « المقار حرفة الحنفي مذهباً القادري طريقة الشاذلي مشرباً وبالسنة والجماعة معتقداً ومعتقداً الدمشقي بلدة الاشعري حسباً ونسباً » وهو قطعة من تاريخه قال في اوله الباب الرابع والسبعون بدأه بدخول السلطان سليم العثماني الى هذه الديار وانتهى بسنة ١١٥٤ هـ وفيه غرائب من اخبار القضاة والولاة بدمشق تعمل بها اشكالات في تاريخ القرون الثلاثة من دخول الدولة العثمانية اي العاشر والحادي عشر والثاني عشر . وقد ظهر منهُ ان الولاة كانوا يتعاقبون ابداً على دمشق والسعيد منهم من كان يحول عليه الحول فيها واكثرهم يقيمون فيها اشهراً ثم يصرفون ويستبدل غيرهم بهم ومنهم من كان يقيم اياماً ومنهم سبعة ايام ومنهم ثلاثة فكان الوالي من ثم لا يتمكن من الاصلاح ان اراده وفي الغالب انه لا يتوفر على غير النهب والسلب ليوفي ما عليه من المقرر لجماعة الاستانة من الاموال

ومن اغرب ما قرأناه ان جماعة الوالي جلسوا سنة ١٠٣٣ بدمشق على الطرقات ومعهم الريش يضعونه على رأس كل من يرونه وينادون عليه « مستاهل لم يقدر يرفعها من شدة الخوف » فلما كملوا ارسلوهم الى اليمن فقتلوا كلهم هناك . ومعنى ذلك ان الدولة كانت تريد عسكراً تبعث به الى اليمن فلم تر اظرف واعدل من هذه الطريقة سيئة التجنيد . وكان الوالي اذا غضب على ناحية يبعث اليها جنداً يأمرهم بتحطيم اشجارها كما فعل والي دمشق سنة ١١٠٨ وقطع توت حاصبيا . او بتخريب قراها وحرقها كما وقع سنة ٩٣٠ وخرب عسكر والي دمشق من قرى شوف لبنان ٤٣ قرية والوالي العادل هو الذي يسلب نعمة الاهالي ويعمر جامعاً او تكية او يعطي جوائز للشعراء والصلحاء والفقراء واليك مثالاً مما اورده المقار تستنتج منه اموراً كثيرة في عدل الولاة اذ ذاك وثروة البلاد قال : في سنة ٩٩٩ كان اتمام عمارة جامع السنانية الذي ليس له نظير في جميع البلاد وهو من محاسن دمشق وكان سنان باشا صاحب هذا الجامع عارفاً عاقلاً كاملاً عادلاً يحب الرعية والفقراء والمساكين والاولياء والمجاذيب وله

خيرات كثيرة في غالب البلدان ولما توفي رحمه الله تعالى ارسلوا مخلفاته الى الدولة العلية فوجدوها ليس لها قيمة وهي مائة وستون مصحفاً شريفاً مرصعاً بالدر والجوهر وثلاثون طشتاً وابريقاً من الذهب مرصعة بالدر والياقوت وخمسة صناديق زبرجد تعلو لها قيمة وعليها خمسة اقفال من الذهب مرصعات بالجوهر وفي داخل صندوق منها مائتا مثقال من الاكسير كل مثقال منها على الف قنطار من الحديد يستحيل ذهباً خالصاً وشطرنج بيادقه البيض ماس وبيادقه السود لعل لا قيمة له ومائتا مرآة مرصعة بالدر والياقوت ومائتا مروحة مرصعة بالدر والياقوت واثنان وثلاثون زوجا من الركابات ذهباً مرصعة بالدر والياقوت وستون رختاً من الذهب مرصعة بالجوهر ومثلها سلاسل ذهب وار بعمائة رخت فضة مطلية بالذهب ومائة وستون رشمة ذهب وار بعمائة رشمة فضة ومائة وستون سرجا مرصعة بالدر والياقوت ومائة وستون عباءة مكللة باللؤلؤ الرطب ومائة وستون دبوساً من الذهب مرصعة باليواقيت ومائتا سيف سنقر واسكي شام ذهب مرصعات بالجواهر ومائتان وستون ترساً مرصعة باليواقيت وثلثمائة وستون سكيناً ذهباً مرصعات بالدر واليواقيت وثلثمائة وار بعون تاجا مرصعة بالجواهر ومائتان وستون حمايلي مرصعة بالدر والجواهر ومائتان وستون خنجراً ذهباً مرصعة بالالماس ومائتان وثلاثون زناراً من الجوهر ومائتان وستون بازوند مرصعة بالجواهر وخمسة وثلاثون صندوقاً لاجل الكتب مرصعة باليواقيت والمعدن داخلها الكتب لا يمكن تقديرها بثمن وسفرة صحون وثلاث صوان ذهب جميعها مرصعة وعشر طاسات باغطية تحتها وتحتها تباسيها وعشرة مباخر وعشرة قماقم ذهب مرصعة بالدر والجواهر وخمسة وستون حاتماً من الالماس ومائة واربعون حاتماً من الياقوت الاحمر ومائتا حاتم من لعل ومثلها من الياقوت الاصفر والازرق والزمرد الخالص وسبعون وسادة كل واحدة بثماني دينار ومائتان وستون وسادة مرصعة بالجوهر وستون فلا ومفتاح مرصع بقطع الالماس ثمن كل قفل منها نحو الف دينار وقبضة ماس مقدار كف الانسان لا نظير لها واربعة تماثيل ذهب تحتها سرير مرصعة بالجواهر قومها بمائة الف دينار ومائة وخمسون خلعة صدر كل واحدة منها مائة دينار وسبعمائة مرصعة بالجواهر قيمة كل واحدة الف دينار وثلاث صور عجاب قيمتهم ثلاثة آلاف دينار

وثلثمائة فروة سمور قيمة كل واحدة منها خمسمائة دينار وار بعمائة فروة ومشق قيمة كل واحدة ثلثمائة دينار وار بعمائة فروة نافة وزرداوده باجة قومت كل واحدة بسبعين ديناراً وثمانية ابار يق كبيرة من نحاس اصفر في جوف كل ابريق منها مائة الف دينار بار بعة دنانير وستة وسبعين كيساً في كل كيس ثلاثة آلاف دينار وثلاثة وثلاثون كيساً في كل كيس منها اثنا عشر الف دينار وثلثمائة شمامة من العنبر الخالص وعشرة احمال حوم (؟) من تحف الهند لم يعلم ما فيها من الأمتعة وخمسون منًا من العود الخالص المختوم وثمانية آلاف جمل والف بغل وتسعمائة فرس وحصان لركوبه خاصة بجلالات حرير وما عدا الصيني والنحاس والبندق الجوهر والدروع والقامات والسناجق المذهبة وعدة الشطار مع طاساتها الذهب اشياء كثيرة لا يمكن حصرها اه * ولم تصحح من عبارته الا ما خالف قواعد الصرف والنحو والرسم

والكتاب في ٥١ صفحة منصفة القطع والغالب انه نسخة المؤلف بعينها بدليل ما فيها من الحذف والاضافات وقد قرأنا بين السطور : ان المؤرخ كان يكتب و يده ترتجف خوفًا وكثيراً ما يرجع بعض السطور ويعفي اثر الحقيقة ليضع مكانها عبارة مرنة لا يفهم منها شيء وكثيراً ما يثني على عمل يستحق عليه صاحبه ان يقطع رأسه وهكذا كان المؤرخون في عهد حكومات الاستبداد في كل عصر ومصر .

محمد كرد علي

افصح العرب قريش

كانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة السنتها اذا اتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم واشعارهم احسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك افصح العرب ألا ترى انك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ولا عجرفة قيس ولا كشكشة اسد ولا كسكسة ربيعة

« تاج العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدي »